الثورة

حسن فتح الباب:

نحن في منعطف تاريخي نتقدم خطوة.. ونتراجع خطوات

القاهرة: الثورة

من يستطيع أن ينسى" ناظم حكمت".. الشاعر التركي مبدع ديوان" أشعار في المنفى.. ومن يستطيع أن ينسى شاعر المقاومة الفرنسية ضد الغزو النازي لفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية" بول ايلورا" وكذلك الشاعرة الشيلية" سباسينانا" التي اختارت الجزائر منفى اختياريا لها بعد أن استولى الطاغية بينوشيه على السلطة في بلادها وقتل جنوده الليندي الرئيس الشرعي المنتخب من الشعب؟.. إن تاريخ الأدب في العالم لا يستطيع أن ينسى هذه الأسماء... واسماء كثيرة غيرها صنفت في أنصع صفحات كتب الأدب...

عشت صراعاً مرهقا بين المهنة والهوية

● في صفحة أدب المقاومة التي تشرف باسم شاعرنا العربي المصري... حسن فتح الباب الذي اصدر سبعة عشر ديواناً.. لم يخل أي منها من قصيدة مستلهمة من روح المقاومة.

حسن فتح الباب... ضابط الشرطة الذي خلع رداءه الحكومي الرسمي لينضم إلى صفوف المدنيين من بسطاء الشعب.. هو ذاته الشاعر الذي تمرد على أنور السادات وغادر مصر بعد أن عقد معاهدة السلام مع إسرائيل واختار الجزائر ملاذاً له وعمل هناك أستاذا للقانون في جامعة وهران وأبدع في المنفى ثلاثة دواوين.. وردة كنت في النيل خبأتها" ومواويل النيل المهاجر" ورؤية إلى فلسطين.

التقينا معه على ضفاف نهر الشعر.. نبحر في عذوبة كلماته.. رحلة في عقل مبدع أرهقته السنوات فأرهقها... لفظته الشهرة فاستغنى.. واكتفى بحروف اسمه محفورة في الوجدان العربي.

● خطاب الأمة الذي يروج له الأعلام دائماً... طال منذ سنوات سفينة الشعر.. فأمسينا نتلقف مصطلح أزمة الشعر وتتقاذفه في كل ندواتنا الثقافية... فبات واقعا نعيشه... كيف نفسر أزمة الشعر الآن؟

– الأدب سماه العرب البيان والبلاغ.. ولابد أن يكون فيه نوع من الوضوح بحيث يكون جسراً بين المبدع والمتلقي.. وهنا تكمن مأساة الشعر التي تنحسر عنه الظلال لتصبح الرواية هي ديوان العرب بعد أن كان الشعر ديوانهم لقرون بعيدة.. لكني أقول إن الشعر سيبقى وخصوصاً الشعر العمودي فالشعر مزدهر في كل مكان... وسيدوم مادام القلب الإنساني يخفق والإنسان ولد شاعراً يغني... والمسرحية وهي أم الفنون بدأت عند اليونان مسرحية شعرية.. فالشعر يثري الحياة مثل خفقات القلب.... وأنا أرى أن استمرار الشعر وبقاءه مرهون بأن يبدع المبدع ويتلقى فنا حقيقياً يجعلهم يفرحون فالفن الحقيقي مرتبط بلذة الإبداع والتلقي.

● يتدفق فيض الشعر ولا يتوقف... مئات الدواوين على الأرصفة عند بائعي الصحف تنبئ بميلاد شعراء جدد.... ما هو تقييمك لحركة الشعراء الجدد وأعمالهم الإبداعية؟

– نحن في منعطف تاريخي أو بعبارة أخرى نعيش حالة مخاض.. نتقدم خطوة ونتراجع خطوات.. فهناك التباس حتى أننا في أشعار وإبداعات الشباب نرى هذا واضحاً.. فالأمور مرتبكة الآن ونحن نرى كل ألوان الطيف الإبداعية... بين موهبة ولا موهبة.. والكل يكتب ورغم ذلك فأنا متفائل وقد رصدت عن قرب بعض التجارب الإبداعية للموهوبين من الشباب من خلال عملي في التحكيم في أكثر من مسابقة تنظمها هيئة قصور الثقافة..... وتكمن المشكلة في أننا قصار النفس كما يقول المتنبي:" لم أر في عيوب الناس عيباً... كنقص القادرين على التمام... فنحن لا نكمل المشوار ونيأس بسرعة في حين أن الأدب يحتاج إلى نفس طويل.

ومسيرتي الحياتية وكثير من الشعراء والأدباء قبلي... ولكننا بعد صبر طويل حققنا جزءاً مما كنا نتطلع إليه من ترسيخ أقدامنا في الحياة الأدبية.

● يرى البعض أن سر أزمة الشعر الحقيقية تكمن في انقطاع التواصل بين الأجيال مما أنتج أشكالا أدبية لقيطة أسهمت في حالة من الاغتراب بين المبدع والمتلقي ومن أهمها قصيدة النثر... فما رأيك؟

– أنا لست ضد قصيدة النثر فأنا أؤمن بأن لكل مبدع الحق في اختيار القالب الذي يعبر به عن إبداعه.. كما أنني أعتقد أن مسألة انقطاع التواصل بين الأجيال هي قول مبالغ فيه.. فلا توجد في هذا الكون منذ آدم وحتى اليوم شجرة بدون بذرة.. والحاصل أن الطريق الطبيعي لكل مبدع هو الاتصال بالقديم وتقليده ثم إبداع الجديد... فأنا كتبت أولاً القصيدة العمودية ثم تطورت وكتبت الشعر الحر حتى ملكت أدواتي وأرى أن معظم شعراء القصيدة النثرية لم يتحققوا أولاً في الأشكال السابقة على قصيدة النثر ولم يتملكوا أدواتهم تماماً... ولكن يوجد بينهم من يمتلك جناحي الإبداع وهما الصدق والواقعية أو النفس والصدق الفني فيكتب قصيدة النثر بجمال رائع ولكن الكثرة تكتب هذيانا.. لا نعلم هل كتبوا ذلك تحت تأثير مخدر أنا لا أفهم ما يكتبون رغم أني متفرغ للأدب منذ خمسين سنة.

شاعر المقاومة

● حصلت على جائزة القدس عن مجمل أعمالك الشعرية.. ما سر العلاقة الترابطية بين قصائدك وقضية فلسطين؟

ارتباطي بالقضية الفلسطينية قديم... وقد رثيت في مطلع شبابي الشهيد" عبد القادر الحسيني" بطل معركة القسطل وبعد أن نضجت أشعاري أصبح الصمود في وجه الرياح العاتية لحناً أساسياً في قيثارتي الشعرية ولكن لهذه القيثارة أوتاراً أخرى أهمها: الحب وتجلياته والافتتان بالطبيعة وتصوير المدينة الظالمة والقرية حافية القدمين وهذه الاقانيم لا فواصل بينها فهي ١٦ لـ سيمفونية المركبة وبعض قصائد مثل الوناتا التي تنساب كمياه الينابيع في الربيع وقد تكون درامية أو مركزة مكثفة على غرار قصيدة الومضة في شعر" الهايكو" الياباني.

وشعري لا يرتبط بقضية فلسطين أو بالمقاومة الفلسطينية.. بل هو يتسع لكل فعل مقاوم للطغيان ويشمل مقاومة كل ما يقف حجر عثرة ضد حق الإنسان في كل مكان في الحرية... والانعتاق من اسر المستبدين والمستغلين.. والاستمتاع بمباهج الحب والحياة.

● عشت سنوات طويلة بين شقي الرحي.. بين تقارير المباحث وهمهمات المثقفين بين التناقض الصريح المهنة ضابط والهوية شاعر.. كيف نجحت في المقاومة وفي إيجاد حل لهذه المعادلة الصعبة؟

– ظهر التناقض حاداً بين المهنة والهوية حينما أصدرت ديواني الأول عام ١٩٥٧" من وحي بور سعيد" فصنفتني المباحث العامة مع من لهم ميول شيوعية وفي ذات الوقت قرر زكريا محيي الدين" وزير الداخلية" في ذلك الحين نقلي من الريف إلى القاهرة مكافأة لي على إصدار هذا الديوان الوطني.. وبادرت بالاتصال بالصحف وأمليت عليهم خبر لقائي بالوزير وتقديره لي وفوجئت المباحث بالأمر وتربصوا لي.

وعلى الجانب الآخر كانت نظرة المثقفين إلي وموقفهم مني أشد مرارة على نفسي لأني واحد منهم واقرب إليهم من الجهاز الذي انتمي إليه بحكم مهنتي وعندما أتذكر مواقف المثقفين عني أتذكر على الفور قول الشاعر وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند" وحتى الآن تطاردني هذه النظرات.

وبقدر ما كانت التجربة قاسية... كانت تجربة إنسانية شديدة الثراء... جعلتني منفرداً بين الشعراء لأنها خلقت تجربة شعرية غير مسبوقة وبتقنيات فنية عالمية أشاد بها النقاد وحتى المختلفين في الرأي منهم مثل د. رشاد رشدي د. محمد مندور فكلاهما أثنى على شعري الأول من نظرية الفن للفن والثاني منطلقاً من نظرية الأدب والفن للحياة.

هاجس التجريب ووعي المغايرة في القصيدة التسعينية

أ.د صبري مسلم*

أ.د صبري مسلم- الحلقة الثانية

■ محمد القعود

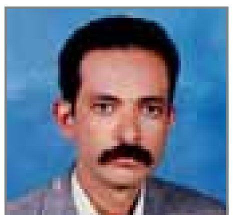
■ علي المقري

■ أمين أبوحيدر

■ أحمد الشلفي

والشاعر علي المقري حين يبلغ به التعب أشده من أعباء الفكر يسعى في خاتمة قصيدته (علب أفكار) إلى أن ينام خالي الذهن من كل شيء «كميت لم يعد له إلا أن يرقب هاويته بهدوء (١٩) ويحيل علي المقري زمنه وزمن سواه إلى عدم في مقترح له تتضمنه قصيدته (طريقة في العد) «نختصر القرن إلى عقد والعقد إلى سنة.. والساعة إلى دقيقة والدقيقة إلى ثانية والثانية إلى عدم» (٢٠) وفي قصيدته من يدق الباب يوثق هذا المعنى «هذا الليل لا أحد، هذا الصباح لا أحد، هذا النهار لا أحد، هذا أنا لا أحد» (٢١) إفصاحا عن سرابية الزمن ووهم الحضور الإنساني الخاطف وإنجازاته الضائعة.

ويتوخى الشاعر علي المقري الطرافة حد السخرية التي تكون بؤرة واعية لبعض قصائده وينسج حولها وينطلق منها «دعاني أمه وأنا رجل بشارب وعصا غليظة كنت أحب أن ألعب هذا الدور ولكن ليس إلى حد أن أكونه تماما (٢٢) وحين زار علي المقري ألمانيا لم يجد عنوانا أدق من (صعلوك شرقي في الغرب) وربما فضل أن يعمل في ألمانيا مساعدا أشبه بأسلوب التدوير بمفهومه المعاصر أي أن القصيدة أو المقطع الواحد منها يبدو سطرا شعريا واحدا متصلا، وضع أسلوب التدوير هذا في قصيدتين هما (حديث الغيب) و(الفتى والمغني).

ترد في قصيدة حديث الغيب مناجاة للذات الإلهية تسود المقطع الأول منها أجواء روحانية وتتخلل المقطع الثاني أسئلة حائرة، وعلى غير نسق قصائد المناجاة يصدمنا المقطع الثالث والرابع بأفكار تكرس الإحساس بالإثم ومشاعر الخطيئة والنبذ، «يا الله أرى في الأشياء رؤى أخرى، كنت أظن بأن الرؤية فوق الوعي وفوق الوحي وفوق تفاصيل الأشياء، أرى الأشياء تطاردني ، لابل هذي معصيتي تتلبسُ بي ، مذ عصفت بي سنوات الخبث، مذ سكنت عمر الآثام مذ.. ها.. ها.. لا أدري، صدئ المعنى، وتبدلت الأشياء (٢٤) إذا فقد ظهرت الأجواء الصوفية على أنها مجرد إطار للقصيدة وليست جزءا من منطلقات النص كما هو الحال في نصوص علوان مهدي الجيلاني على سبيل الاستدلال، فضلا عن أن الإحساس بالعدمية واللا جدوى لاتبدو واضحة في شعر الشلفي كوضوحها لدى الشاعر علي المقري، وإن صرح أحمد الشلفي بمفردة مبتورة عن رغبته في الرحيل عن هذه الحياة:

إذن فاخرج اليوم من نزواتك
واستوقف العمو وانو الرحي

ولكن الشاعر الشلفي لم يستطع إكمال مفردة (الرحيل) لأنه مسكون بحب الحياة:

«للقلب أغنية بلون الحب
لاتهوى الأفول.
يا أنت قلبك وردة أغنية أنشودة
مقطوعة سحرية
فاقصص جناح الخوف
تكبر في عيون المخلصين
واحك رواياتك الجديدة للجميع»

وبقدر معاناة الشاعر من أجل لغة شعرية متميزة تبدو معاناته من أجل أجواء لصيقة بذاته تحمل بصمات ملامحه الشعرية الخاصة.

ويجرب الشاعر سعيد الشدادي أكثر من أفق شعري في مجموعته ما قاله القروي، فهو يفخر بانتمائه حين يقول:

أناديك ليلى ولبنى
وأقصد فيك السعيدة
وأكتب شعرا ولكن
تظلين أحلى قصيدة (٢٦)

وتتقد في مخيلته الشعرية سطور قصيدته جذوة الانتماء التي تجذر هذا الإحساس وبقصيدة التفعيلة التي تطغى على مجموعته:

«سأغني لها امرأة وحدتني
ومن لغتي من دهاليز ذاكرتي انتشلت
ماكان يدعى جنوبا/ شمالا
وأهدت إلى شفتي من ثغرها قبلتين»
(٢٧)

بيد أن الشاعر القروي قد يتمرد على هذه الانتماء في قصيدته قراءة أولى على ضريح الوطن.

وإذا كانت قصائد سعيد الشدادي تنطلق من عمق الذات فإنه يحرص على أن يمنحها خصوصية تجربته ، ففي قصيدته بوح يرد:

في مرفأه الحزن أغفو وتغفو معي الأمنيات
التي حوّط الخوف لهفتها للنماء
ويبقى خرير دمي المستباح مقيما
بتلك الجراح الدفينة في داخلي
تخربشه نزوات القبيلة
....
وهذا أنا راكض خلف حريتي مذ صادرتها العمامات في مأتمي» (٢٨)

ولكن سعيد الشدادي قد ينتقي معادلا موضوعيا لذاته الحزينة في قصيدته:

«عصفورة سكنت جراح الكون غبطتها
ونمت على منقارها الآهاتُ والحزن العميق»

وتختم القصيدة:

«عصفورة في رقة الأنثى
تقاوم قهرها
سبحان من أهدى لها قلبي
ملاذا تستكين» (٢٩)

مما يوثق مبدأ التنوع في تجربة سعيد الشدادي ورغبته في ارتياد المدهش والطريف من التجارب الشعرية.

ويحرص الشاعر محمد القعود في مجموعته الشعرية (الألم أناقتي) (٣٠) على أن يختط طريقه الشعري الخاص وعبر هذه التعريفات الوجيزة والجمل الخبرية المقتصدة- كما أسماها الدكتور الناقد حاتم الصكر- وإلى جانب الحواريات المتخيلة التي تتخفف من طابع الجدل والحجج لتصوغ حكمتها فحسب، كما ورد في مقدمة المجموعة ، وما إن تتوغل في سطور المجموعة حتى تتوثق من حرص الشاعر على خصوصية لغته وخطه الشعري:

«فقد تكهفت ملامحي بشيخوخة الأماني
تقنفذ الحق وامتهن حرفة الحياد
اللغة تتجغرف صمتي
وأين أصندق القلب، كل الأخشاب ينخرها الحب
تزمل ظلي بغيمة الأسئلة»

فتحتضن ذائقته الشعرية هذه اللغة الواخزة ومفرداتها المنتقاة بعناية كي تخترق وعي القارئ وتستفز قناعاته وما ألفه من القصيدة.

ويتوالى النسق الطريف المتمرد على النمط المألوف حين يعلن محمد القعود عينت نفسي وزيرا يسرف في إطراء فخامة ذاتي بل إنه يعلن مملكة جديدة تنبعث من داخله:

أفتعل وطنا من الكلمات
وباقةً من بيارق التسويف
وأعلن جنوني مملكة جديدة».

وهو يختار طريقه من صنف الشعراء الذين قال عنهم:

«صنف من الشعراء يعدُّ الكمائن لاصطياد الحكمة».

ويرفض الصنف الآخر «وصنف يصقل نصل الظلام ليطفئ الشمعة».

وهو يحتج على وظيفة الناقد التقليدية لأن:

«الناقد البيطري مازال يمنح صكوك النهيق».

وينتقل محمد القعود في ومضاته الواخزة مابين الهم الذاتي والآخر ذي الطابع الإنساني:

«في العالم الثالث ميزان العدالة يطالب بترقيته إلى الميلان مما يعزز رغبة الشاعر في أن تنبسط مديات تجربته الشعرية على أكثر من أرض وأن تصطبغ بزخم من الألوان والصور المتنوعة.

وإذا كان الشاعر الدكتور عبدالعزيز المقالح يرى أن الشاعر أمين أبو حيدر واحد من أربعة أو خمسة شعراء شباب يمكن المراهنة على مستقبلهم الشعري فإن الدكتور المقالح يشير أيضا إلى خصوصية تناول الشاعر وعبر تجاربه الشعرية للماضي البعيد في معظم قصائده ولاسيما في مطولته «من أرض نخلة هرول الشعراء» التي وردت في مجموعته بيننا برزخ من زجاج (٣١) ويصف الأستاذ خالد الرويشان الشاعر أمين أبو حيدر بأنه قمر شعري مميز في مدار شعراء التسعينيات القزحي في اليمن، ولايخفى حرص الشاعر على أن تكون معظم قصائدة ذات مرجعية مثقفة تنتمي إلى الجذر التراثي الراسخ وهو لايعود إليه إلا لكي ينتقي منه ما يتجانس مع تجربته الشعرية التي تتراوح مابين الذاتي والقومي والإنساني مع انحياز واع للتجارب الشعرية المركبة ذات الأصداء القوية والتأثير البعيد..

وفي (كهف التغابن والظنون) (٢٢) للشاعر عبد الوهاب الحراسي ثمة حواريات طريفة تعيد إلى الأذهان موضوعية البحث عن الهوية سواء أكان هذا البحث على صعيد الهوية الذاتية أو الهوية القومية «فلربما أجد الطريق الذي أناي».

لكن وجهي ليس وجهي ، لا أرى وجها على المرآة بل وجهان لي :
وجهي أنا ليست له صفةٌ سوى صفة الضباب
وأناي وجه آخر»

وقد يلجأ الشاعر الحراسي إلى الصور الشعرية الطريقة:

«فلقد رأيت بجانبي ، مخلوقة أخرى بقامتنا مركبة برأس
الأرنب البري وجسم السلحفاة،
فصرخت لا».

ومن الواضح أن الشاعر وبهدف التميز يجرب غرابة الصورة حد العجائبية والاقتراب من حافة أخيلة مستحيلة من تطعيم الصورة الشعرية بأكثر من بؤرة فكرية ذات طابع مرجعي كي تكتسب القصيدة زخما شعرياً مستمدا من عمق الذاكرة كي تكتسب القصيدة زخما شعرياً مستمداً من عمق الذاكرة الإنسانية على صعيد فردي وجمعي وثمة حالة مكثفة من الغموض الشفاف المتعمد وتطول قائمة الشعراء ممن تتوهج تجاربهم الشعرية على درب القصيدة الستعينية ، وربما أتيحت لكاتب هذه السطور عودة إلى بعض من ذكرت من الشعراء أو سواهم ممن أغفلتهم هذه السطور، بيد أن طبيعة هذا القراءة لاتتيح لي أكثر مما ذكرت..

وإذا كان لابد من استنتاجات مركزة أخيرة فإني أقول بأن القصيدة التسعينية في اليمن تحتاج إلى مزيد من التوغل إلى عالمها وأجوائها وأن النماذج المشرقة منها تعكس طموحا في كسر السائد وتجاوز المألوف وعبر المضامين التي تفرض نفسها على الجيل كله وأبرزها البحث عن الذات وعلى الصعيد الشخصي والقومي والإنساني وربما ظهر هاجس التجريب عبر الصياغة الشعرية التي قد تكون قصيدة نثر أو قصيدة تفعيلية أو قصيدة ذات شطرين وتتغاير التجارب الشعرية في هذا الإطار وسواه ، وتنطبق التجارب بالتراث عامة شكلا فنيا وإيحاء لاينفذ فضلا عن استثمار معطيات العصر ولغته ومفرداته وتكاد تكون ظاهرة الإفادة من لغة البياض وعلامات التنقيط وأسلوب الطباعة واستثمار الأقواس والأسهم شاملة لكل الناتج التسعيني وربما تتجه وسائل الطباعة الحديثة من إمكانات وقدرة على التعبير الأكثر إيحاء وامتدادا في عمق القلب والفكر والروح.

وينبغي التنويه في الختام إلى أن كل ماذكر إن هو إلا قراءة لجزء من نتاج الشاعر التسعيني الذي ربما أصدر مجموعة لاحقة تغير هذا الانطباع السريع عنه وتكرس انطباعات أخرى عنه، لأن القصيدة النابضة شأنها شأن الحياة المتجددة التي لايمكن حصرها في تجربة شعرية واحدة.

الهوامش:

(١) نبيلة الزبير، صعوداً إلى فرعة كبريت ، مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء ،٢٠٠٣، صـ٧
(٢) نفسه، صـ ٧٣
(٣) نفسه،صـ ٧٥
(٤) نفسه، صـ ٨٣
(٥)نفسه،صـ٨٩
(٦) نفسه، صـ ١٩
(٧) نفسه، صـ ٣٣، ٤٣، ٨٠
(٨) نفسه، صـ ٣٥، ٣٩، ٦١,
(٩) هدى أبلان / اشتماسات ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ٢٠٠٠م ، صـ ٨,
(١٠) أصدرت هدى أبلان ثلاث مجموعات شعرية هي : ورود شقية الملامح، ونصف انحناءة ،ومحاولة لتذكر ما حدث قبل هذه المجموعة (اشتماسات).
(١١) اشتماسات صـ ٥٩,
(١٢) نفسه ، صـ ٦٤,
(١٣) نفسه، صـ ١٠- ١٥,
(١٤) إصدر الشاعر علوان مهدي الجيلاني ثلاث مجموعات شعرية : الوردة تفتح سرتها وإشراقات الولد الناسي وراتب الألفة.
(١٥) إشراقات الولد الناسي ، دار المواد باللاذقية ١٩٩٩، صـ ١٢- ١٣، (١٦) الوردة تفتح سرتها ،دار أزمنة بعمان الأردن ١٩٩٩٨، صـ ١٩,
(١٧) علي المقري ، يحدث في النسيان مركز عبادي ، صنعاء ٢٠٠٣ صـ ٥,
(١٨) نفسه، صـ ٤٤,
(١٩) نفسه، صـ ٥٠,
(٢٠) نفسه، صـ ٣٧,
(٢١) نفسه، صـ ٥١,
(٢٢) نفسه صـ ٦٠ .
(٢٣) عبدالسلام الكبسي ، مقاليد القبيلة ، البرنس للطباعة والنشر ط٢، ص٧-٨.
(٢٤) أحمد الشلفي، جرح آخر يشبهني ، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ٢٠٠٣، ص ٣٣-٦٣ .
(٢٥) نفسه،ص ٢٨-٣٢ .
(٢٦) سعيد الشدادي، ما قاله القروي ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ٢٠٠٣، ص٨٣.
(٢٧) نفسه، ص ٩-١٠ .
(٢٨) نفسه ، ص ٧٦-٧٧ .
(٢٩) نفسه ، ص٥٠ .
(٣٠) محمد القعود، الألم أناقتي، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ٢٠٠١م.
(٣١) أمين أبو حيدر، بيننا برزخ من زجاج، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء.
(٣٢) عبدالوهاب الحراسي، كهف التغابن والظنون ص ٦٠- ٦٢ .

عميد كلية الآداب والألسن جامعة ذمار

صعدة.. غير!!

(١ – ٣)

عابد المهذري #

□ الذين حضروا حفل تدشين أسبوع صعدة الثقافي يوم أمس بالمركز الثقافي بعاصمة الثقافة العربية صنعاء، أو الذين شاهدونه وسمعوا عنه، بلا شك – أو بالتأكيد – خرجوا حاملين صورة أخرى عن محافظة صعدة، مغايرة تماماً للصورة المرسومة لدى الكثير عن هذه المحافظة .. تاريخها، ثقافتها، سلوكيات أبنائها .. فما هو سائد من صورة خاطئة وفهم مغلوط «يظلم» صعدة ظلماً جائراً!!

□ تراكمات من الماضي تسببت في انحصار النظرة إلى «صعدة» من زوايا ضيقة، تصورها وكأنها بلاد تعيش عصور أبا جهل وابن المقفع، توصم بالتخلف والبداوة وفوضى الهنود الحمر .. الناس فيها مهووسون بالقتل والتقطع وهوايات الموت .. هكذا تبدو «صعدة» في أعين طائفة واسعة من أبناء هذا الوطن، وصعدة – بالطبع – ليست كذلك، ولم تكن، ولن تصير أبداً .. ولو اقترب من يظن ويعتقد صعدة بهذا الشكل من واقعها أو عايش أبناءها لاتضحت الرؤية ولاستغفر لذنبه لما ارتكبه من ظلم بحق المحافظة!!

□ في حفل أمس كان الإبداع حاضراً، وعبق أصالة وموروث التربة الصعدية ينشر الإبهار في أجواء المكان، وحالة من الذهول والمفاجآت تلف من حضر .. أمام تلك العروض الرائعة من الرقصات والأزياء والموروث الشعبي والثقافة التاريخية كانت حرارة التصفيق أقل ما يمكن التعبير به عن الإعجاب والاندهاش!!

□ إلى جانب وزير الثقافة والسياحة الأستاذ خالد الرويشان، ووزير الدولة الأستاذ قاسم الأعجم، وعدد من كبار المسؤولين والشخصيات الاعتبارية، كان الأستاذ عبدالرحمن الأكوع، وزير الشباب والرياضة، «ضيف الشرف» في هذه الاحتفائية، وبدا عليه التفاعل والسعادة أمام ما يشاهده من تفاصيل مخضبة بنكهة «البُن» الصعدي، ولها مذاق بطعم «رمّان» صعدة .. ومن ملامح نظراته لمحت في عينيه مشاعر فياضة بمعاني انتماء اليمني لثقافته، وهو يؤكد ضرورة وأهمية إعطاء الفرصة لأبناء صعدة وشبابها لإبراز مواهبهم وقدراتهم في شتى المجالات، وهو يوجه برعايتهم والاستفادة مما لديهم لتشريف الوطن في المحافل الدولية!!

□ أمس .. استطاع الصعديون أن يلفتوا الانتباه إليهم .. قالوا : «نحن هنا» بصوت قوي .. وفي أسبوعهم الثقافي يحرصون على إقناع الجميع بأنهم ليسوا كما يتصورونهم .. يريدون إثبات براءتهم من تلك التهمة التي تلتصق بهم زوراً وبهتاناً .. فليس ذنب صعدة وأبناءها ما حدث ويحدث في الطريق إليها من أعمال إجرامية بأيدي أشخاص لا ينتمون إلى المحافظة وليسوا من أبنائها .. فأبناء صعدة مسالمون، طيبون، حضاريون، ومواكبون للعصر بانفتاح يحافظ على الهوية الوطنية من الطمس، وأخلاقيات المجتمع من الاندثار .. ولكم أن تسألوا من زار صعدة أو عايش أهلها حتى تتأكدوا أن «صعدة» مظلومة .. مظلومة .. مظلومة .. ولا سامح الله من كان السبب!!

□ وصدقوني – يا جماعة الخير – «صعدة .. غير»، ومختلفة تماماً عن تلك الصورة الخاطئة .. ليس تعصباً باعتباري واحداً من أبناء صعدة، وإنما استشعاراً بواجب مسؤولية مواجهة الأمر بمحاولة إيضاح الصورة وتقديمها بحقيقتها دون رتوش .. ولمزيد من الإيضاحات والتعرف على صعدة عن كثب والتأكد من صحة ما ورد في هذه السطور، أدعوكم إلى متابعة فعاليات الأيام الثقافية لمحافظة صعدة!!

رئيس تحرير صحيفة «الديار»

قصة قصيرة

تقمُّص

● زريبة الدجاج وعلف البقرة وحَلْب الماعز وصور أخرى كثيرة ما تزال عالقة بذهن "مبروكة" رغم امتزاجها بالمدنية وصداقتها الحديثة بالمكياج الذي يجعلها تشعر عندما تقف أمام المرآة أنها ترسم لوحة بديعة تأخذ لبّ الناظر إليها بتقنيتها في تدرج الألوان.

لم تكن التجاعيد- التي خلفها ازميل السنوات على وجهها- لتستقيم إلا بإهدار كمية كبيرة من البودرة البيضاء تكفي لطلاء باب كبير مسّه الصدأ.

كل شيء في وجهها كان بحاجة إلى إعادة صياغته وكانت تشعر باندفاع خفي صوب أدوات المكياج التي تجعلها قريبة من ممارسة هواياتها.

عيناها الواسعتان فقط كانتا محلّ صدق الواصف حينما يصفهما بعيون المها.

لم يكن جمال عينيها وراثياً فجميع أفراد أسرتها يمتلكون مقدرة عفوية في تحريك كل عين بمفردها ففي بعض الأحايين لم تكن تجيب على سؤال أبيها لا اعتقادها أنه يتحدث مع أمها التي كانت سبباً في ارتزاقها تلك العينين دون أن تدري.

كانت أم مبروكة تمتلك بقرة ذات عينين أخاذتين لا تختلفان كثيراً عن عيون المها الأسطورية وازداد شغفها- في شهور حملها الأولى- بعيون بقرتها التي فارقت الحياة على يد طبيب القرية البيطري بعد إلحاحه على موتها بعملية قيصرية تضمن الحياة للعجل لكنه سرعان ما اجتمع بأمه في حواصل النسور.

"العوض على الله"

عبد المجيد التركي

كانت هي الكلمة الوحيدة التي ذرفتها أم مبروكة بعد رحيل البقرة إذ أنها لم تكن آسفة على موتها بقدر ما كانت متحسرة على تلك العينين اللتين عشقتهما طويلاً فتمنت حينها لو استطاعت مقايضة البقرة بهما.

كان طيف البقرة يأكل ويشرب معها- نهاراً – ويحتل مساحة شاسعة من أحلامها – ليلاً – وكان قرع الجرس الصغير المعلق في عنق البقرة- قبل موتها- يطرق مسامعها حتى بعد أن فكّت وثاقه وأخفته في صندوق ملابسها العتيق.

أعلنت أم مبروكة- بمخاضها- حالة الطوارئ كونها أول تجربة تخوضها لكن تعسر الولادة وهاجس العملية القيصرية لم يبرحا مخليتها لاعتقادها أن مصيرها مرتبط بالبقرة.

● كان شريط ذكرياتها يستعرض في مخيلتها صوراً شتى حتى استقر على صورة مؤلمة ازدادت قتامتها وملأت إطارها قسوة الطبيب البيطري بحكمه الصادر ضد بقرتها لضمان بقاء العجل الذي فضل اللحاق بأمه على أن يعيش يتيماً.

تساءلت بمرارة شديدة لو مُزجت بماء النهر لأفسدته وأنفقت كائناته :لماذا تموت الأم ليبقى الولد أو العكس وما جدوى بقائه بعدها ولماذا العملية القيصرية التي لا تمت للإسلام بصلة كونها منسوبة إلى قيصر.

ولماذا تتحمل المرأة كل هذه المشاق دون الرجل الذي لا تلقى منه أدنى تقدير أو إحساس بهذه الآلام.

جاء هذا السؤال بعد أن عرفت أن زوجها لم يقف إلى جوارها ليشاركها محنتها ويهدئ من روعها إذ أنه خرج من المنزل بعد أن كدرت صفوه بأصواتها آملاً منه أن يعود وقد انتهى كل شيء، لكنها خيبت أمله حين عاد وهي على حالتها التي تركها عليها.

كل هذه التساؤلات الفلسفية- في نظرها- كانت تغتلي في داخلها كقدر مليء باللحم لم تجد من يطفئها لعدم اجترائها على البوح خشية اتهامها بالقراءة في كتب أخيها الجامعي لذلك لم تكن الفتاة القروية تتعلم شيئاً سوى ما بينها على إقامة صلاتها فقط.

لم تكن تلك التساؤلات- الفلسفية- التي وضعتها بين فكي رحى إلا لإلحاح هاجسها بوضعها في مقصلة البقرة.

تفرقعت الزغاريد كألعاب نارية في دهاليز البيت- المتخم بالنساء والفضول- وهرعت العمة العجوز- كالعدائين لإيقاظ ابن أخيها ليكون لها السبق لأول مرة فقد عُرِف عنها تخصصها في نقل الأخبار المؤلمة فقد لقبها الناس بـ" أم سَلَمْ"لشدة تشاؤمهم منها وهواسم يطلق على البومة في المناطق الريفية.

وانطفأ اشتياق أم مبروكة لتلك العينين اللتين توحمت بجمالهما كثيراً في شهور حملها الأولى وذهبت بهما البقرة دون أن تقايضها بهما بعد أن خرجت" مبروكة" بعينين جميلتين حققتا مقولة أمها المذروفة في رثاء البقرة" العوض على الله".